

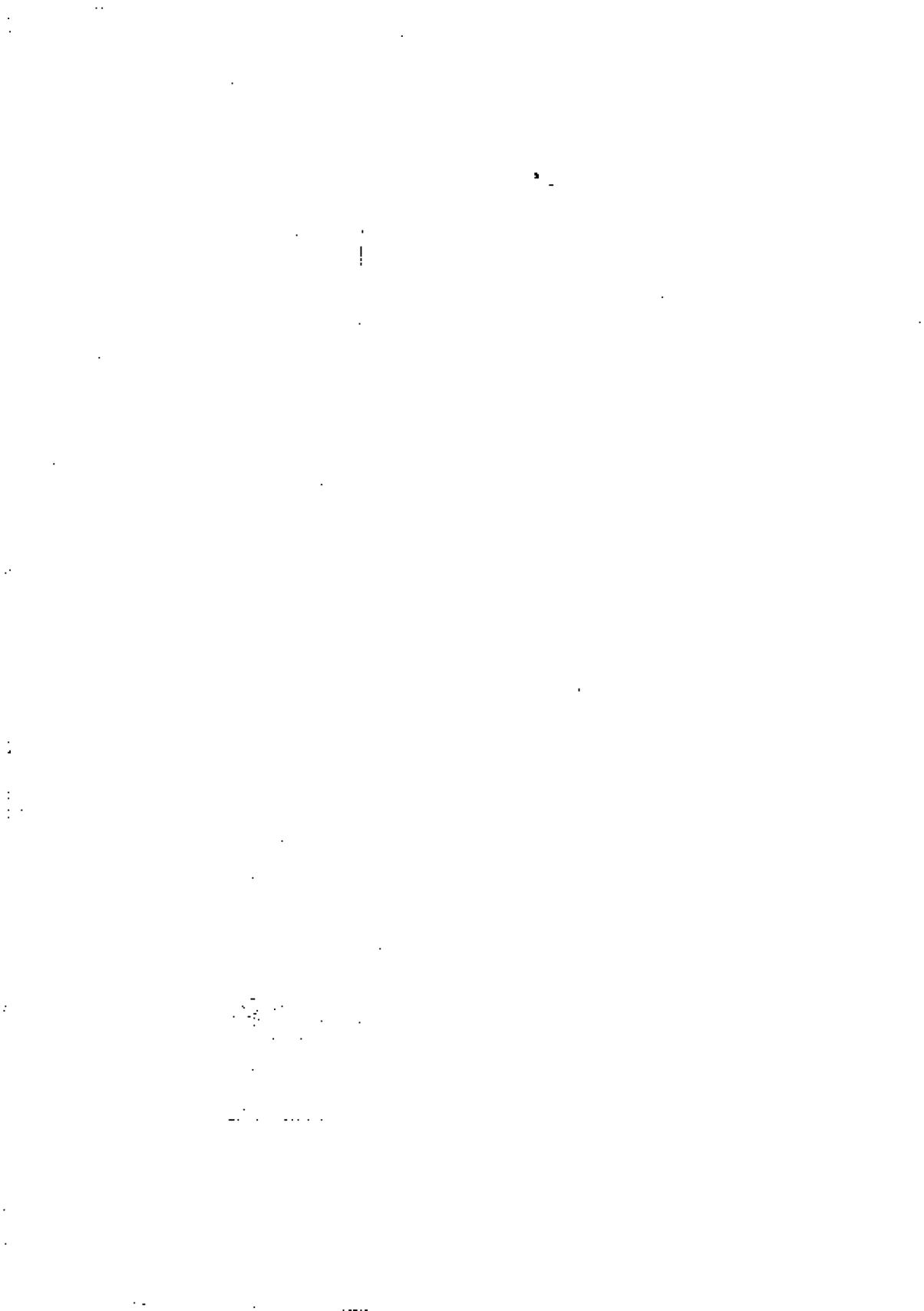


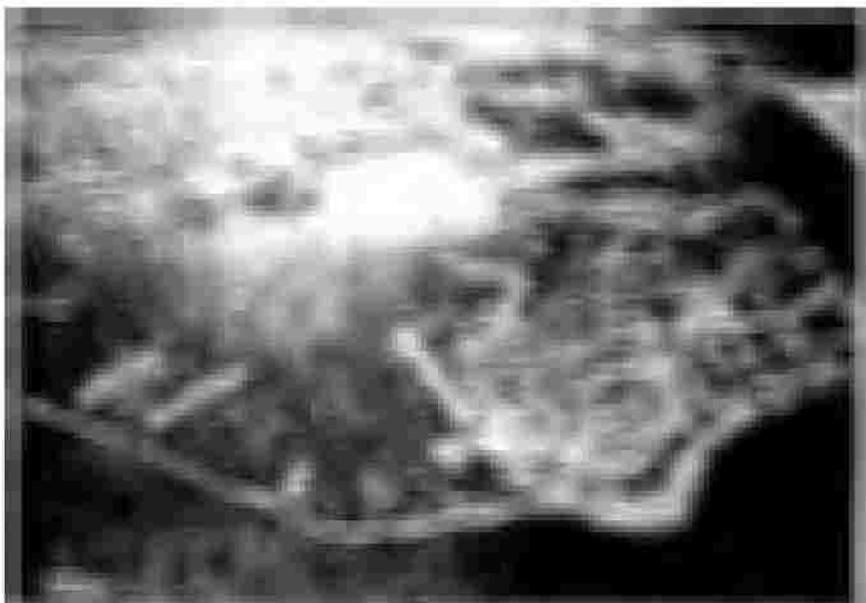
بحث في التبغ وضربائه^(١)

مؤيد مصطفى الشهابي
مدير املاك الدولة بدمشق

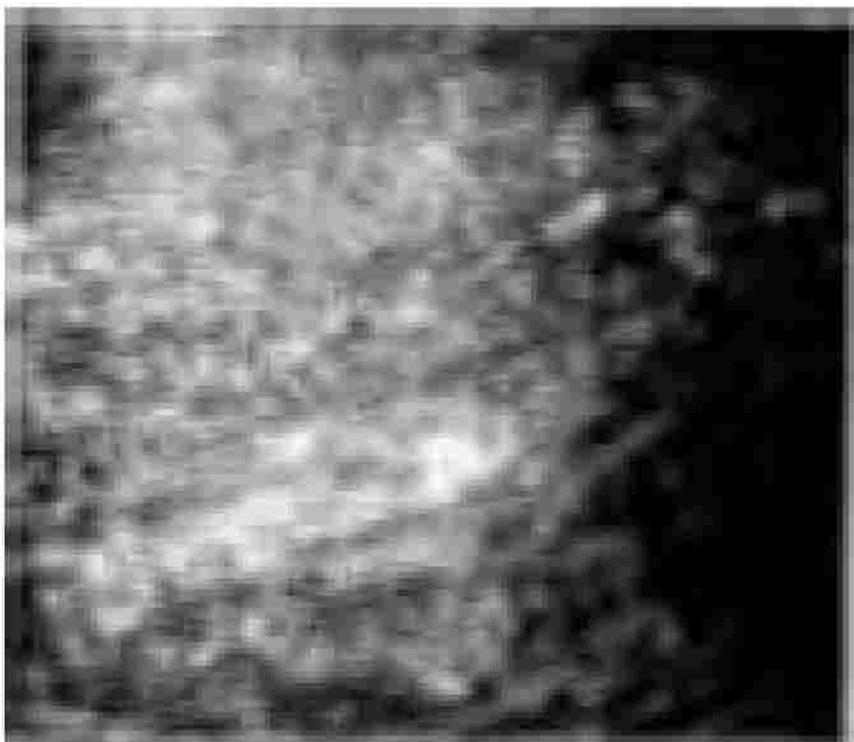
﴿ تاريخه ﴾ التبغ لفظة عربت بها كلمة Tabac الأتلمجية . ويقول بعض المؤلفين ان هذه الكلمة التي عم استعمالها في اللغات الاجنبية للدلالة على النبات المذكور هي مشتقة من لفظة تاباكو (Tabacco او Tabago) وهو اسم يطلق على جزيرة صغيرة من جزائر الأنتيل في اميركة بظهر ان الرواد عزوا على التبغ فيها اولاً . ويقول آخرون انها مشتقة من كلمة تاباسكو (Tabasco) وهي جزيرة أخرى واقعة في خليج المكسيك . ويؤمن غيرهم انها لفظة كانت يستعملها سكان اميركة الاصليون لورقة ناشفة يحاط بها نبات التبغ فانتسبها عنهم الرواد الالون . ولقد كان للتبغ اسماء كثيرة زال استعمالها فالبرتغاليون كانوا يسمونه العشب المقدسة والفرنسيون العشب النجيب وام الالوجاع وعشب الملكة وغيرها وليس لهذا النبات لفظة عربية لانه ما كان معروفاً في بلاد العرب قبل كشف اميركة وهو لم ينقل الى بلادنا (بلاد الشام) الا في اوائل القرن السابع عشر من الميلاد . واشهر لفظة يسميه العرب بها هي الدخان والتبن وكلاهما لا يدلان على ان النبات كان معروفاً قديماً وكذا لفظة التبنك للتبغ الآخر المعروف . وذكر العلامة النباتي بوست التبغ *Nicotiana tabacum* والتبنك *N. rustica* في كتابه الشهير « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبلادها » فقال انها بزرعان ولم يقل انها يبتان طبيعياً في تلك البلاد . والذي عليه معظم العلماء لاصيا العالم النباتي دوكاندول صاحب كتاب « اصل النباتات الزراعية » هو ان سبب التبغ الاصلي في اميركة وانه انتقل منها فصار يزرع او صارت تبتة الطبيعة في كثير من الاقطار كالصين وفارس واستراليا وغيرها . وعند ما اكتشفت اميركة كانت عادة تدخين التبغ ومضغه والنطس به متفشية في معظم اقاليمها . ولم يكن الاميركيون الاصليون حديثي العهد بتلك العادة بل ان الآثار القديمة التي وجدت تدل على انهم كانوا يزدولونها منذ عصور عديدة . ومع ذلك فان نبات التبغ الذي كان هنود اميركة يستعملونه لآبان دخول كريستوفوروس كولومبوس تلك الديار كان نباتاً برياً تبتة الطبيعة في اماكن عدة

(١) وهو موضوع محاضرة اقيمت في ردهة المجمع العلمي بدمشق وخمس المكتطف بدمرها





پیریہ مرفی ٹینڈ کھیری من اخیو



انینا وھیانک لاکرو بلیس کھتری من اخیو

مقتطف اکتوبر ۱۹۶۸

امام الصفحة ۳۰۳

دون ان يكون له حظ من تمهد السكان اياه بناية من النيات . وكان الهنود المذكورون يحبونه حباً جاً ومحترموه كل الاحترام ويجعلونه مصدراً لكثير من الفضائل ويذهبون الى ان روحاً قدسية تجل بهم اذا ما -تشقوا دخانه اللذيذ ولهذا كانوا يحرقونه كالبخور في صلاتهم وتبديهم حتى اذا سكر كهانهم ذلك السكر الخفيف الذي يتولّد منه صحّ اعتقادهم بأن الروح التي تحمي حاتم وتندراً عنهم عراذي الايام والبيالي قد حلت فيهم وانهم برحمة من الآلهة . وكانوا يعتقدون ايضاً ان التبغ يشفي كثيراً من الطل وانه نال للاعداد ولذا كانوا يستخرجون منه سمّاً يسقون به نصال رماحهم وسهامهم . وكان دخان التبغ ينتشر في جو البيوت كما اجتمع رؤساؤهم لامر هام كالدولة في صلح او قتال بين القبائل واغرب من هذا انهم كان يلفون ورق التبغ لفافات صغيرة يشدونها الى اعناقهم او الى اوساطهم فتكون عوداً يتقون بها صروف الدهر كالحجب في ايامنا هذه

واختلف الرواة فيمن نقل نبات التبغ وبزوره الى اوربة قبل غيره فقال بعض المؤرخين ان هرمندز الطليطي (١) هو الذي نقله من المكسيك الى اسبانية في اوائل القرن السادس عشر من الميلاد وقال آخرون ان الفضل في ذلك يرجع الى امير الماء الانكليزي المسي درايبك Drake ومهما يكن فان استعمال التبغ في اوربة ظل مقتصراً على قليل من الناس الى اواسط القرن السادس عشر ولم يعم استعماله الا بعد ذلك التاريخ

وبعض المؤرخون عن نقل هذا النبات الى فرنسا غريبة وهو انه كان للملكة كاترينا دومديسي (٢) صغير في لشبونة يدعي حنا نيكو (٣) فني يوم من سنة ١٥٦٠ اتاه احد التجار بقليل من بزور التبغ فزرعها في حديقته وحار بمحبتها خيراً . ولما كانوا يعتقدون في تلك الايام ان هذا النبات ينقي الدم ويزيل الصفراء من الدماغ وكانت الملكة المشار اليها مبتلاة مع ايتها بالسويداء والاحلاط النساغية فقد ورد الى خاطر الصغير ان يبعث الى ملكته بشيء من مسحوق التبغ لعله يشفيها . فاهتمت الملكة لهذه الهدية وأذاعت امرها على الشعب ففضي استعمال الباطوس في أنحاء فرنسا وساد معه الاعتقاد بأنه شفاء لجميع الطل وقد كادوا يؤهلونه شأن هنود اميركا الاقدمين . ونقل التبغ من فرنسا الى سائر أنحاء اوربا والجميع يجلبون هذه المنحة الالهية ولكنهم ما شعروا ان ادركوا انهم في خطأ بين وان التبغ لا يشفي شيئاً من الطل بل يولد كثيراً منها فأخذ بعض ملوك اوربا يضطهدون المدخنين ويُرهبونهم بالفرامات والسجن ويتعدونهم بالقتل واحتذي الباباوات وبطارقة الروم حذوهم وكذا بعض ملوك الشرق كالسلطان مراد الرابع العثماني

(1) Hernandez de Tolède (2) Cathérine de Médicis (3) Jean Nicot

فانه اصدر ارادة سنية بأن التبغ مكر محرمة الدين ولهذا حق على كل مدخن ان يشرم شفاه وعلى كل من يستعمل العاطوس ان يجده انقه واذا لم يرتدع كل منها فجزاؤه القتل . ويروي ان السلطان محمد الرابع كان يتجسس بنفسه امور المدخنين وينسقط اخبارهم فاذا عثر على احدهم فآده في عنقه طوقاً من ورق التبغ وأدخل في انقه (شفاً) وصلبه وهو في هذه الحال . ويظهر ان الشاه عباس في فارس ما كان اقل قسوة من سلاطين آل عثمان . اما في روسيا فان احد دوقاتها كان يجلد المدخن فاذا لم يرتدع جده انقه حتى اذا لم يكن هذا العقاب كافياً وأخذ مجدوع الاتف وهو يدخن جزاؤه القتل . ولكن الاضطهاد لم يجد نقماً وظلت عادة التدخين تنتشر حتى رأت الحكومات في اواسط القرن السابع عشر وأخره ان لا قبل لها باستعمال هذه العادة وان أهون الشرير ترك المدخنين وشأنهم على ان تستوفي عن زراعة التبغ ومحاربه ضريبة قاذحة تكون مورداً مهماً لبيت المال وهكذا احتكرت الحكومات زراعة هذا النبات ومحاربه إما مباشرة أو بواسطة شركات حصر الدخان

﴿ محبته وخواصه ﴾ هو من النسيئة الباذخانية التي تشمل على نباتات مهمة كالبنادوري (الطاطم) والباذخجان والبطاطس والفليفله وغيرها ومن بعض نباتات هذه النسيئة تمتخرج في الطب سموم مثالة كالستركين والارويين والنيكوتين والتبغ الذي يزرع في الشام له شاق عشبية لزجة متصبية تبلغ متراً وأوراق بيطة مستطيلة كاملة وبيرة تحت العصب الاوسط وازهار عقودية مرتكزة على رأس الشاق وفروعها . ولزهره كأس حرجية وتوجب فمي الشكل وودي اللون وبزور التبغ دقان عظيمة السدد وذكر العالم النباتي « لينبوس » انه عد ٤٠٠٠٠ زرة في ثمرة واحدة والمادة الاساسية او العنصر الفعال في التبغ هو النيكوتين . وهو يستعمل لوجود هذه المادة فيه لانها هي التي تحدث شبه سكر او تخدير لطيف يسلي المدخن المكدود ويذهب بشيء من قلقه . وهي قلبي عضوي زيتي مائع يذوب في الماء لالون له ذو طعم حريف محرق ورائحة هي رائحة التبغ نفسها . وهي سم نافع الا انها لا تكون في اوراق التبغ مطلقة بل تكون ممزوجة بمخامض عضوية ولهذا اذا شمنا ورقة تبغ طرية قائما لا نستروح النيكوتين فيها لمكتنا اذا يسنا الاوراق وجعلناها فتمخر فادة النيكوتين تفصل عن المخامض المذكورة فسطع رائحتها وهي رائحة التبغ الخاصة . وكما طالك زمن تبيس الاوراق واختارها قص مقدار النيكوتين فيها وعداثع خفيفاً . ويختلف مقدار النيكوتين في الاوراق اليابسة من ١٤٥٠ الى ٧ في المائة من وزنها وقلما يزيد على ٢ في المائة في التبغ الذي تدخته ﴿ مشاره ومثانه ﴾ : للتبغ اعياء واصدقاء فاعداؤه يزعمون انه يسبب ادواء شتى

أما صدقها فيرون ان فوائده تفوق مضاره ولذا لا يجوز منع استعماله . ومن أقوال بعض
الاطباء اعداء التبغ ان استعماله عاطوساً يؤدي الى فقد حاسة الشم . وفقد هذه الحاسة
يفسد هيئة الوجه فيصبح عبوساً مكثراً . ثم ان الذي يفرط في استعمال العاطوس يضطر
الى استنشاق الهواء من فمه فتباعد شفتاه وبتفتخ نكاه وتندلى ذقنه حتى يصير منظره شياً
يفضّر مزعج . وربما حصلت قروح في انفه فيصير نفسه كريهاً كنفس اشد الناس بجزاً
فتعاشاه جلساؤه ونسوء حاله في عزلة عن الخلق . ويمتد الضرر الى العين فتحمر ويتهب
غشاؤها الداخلي فتسيل الدموع على الحد كما يسيل مخاط اسود من الاتف بوسخ الالبسة
والافراط بالتدخين لا يقل ضرراً برأي هؤلاء الاطباء عن الافراط باستعمال العاطوس
فهو يبيح غشاء الفم واللثة ويضر بالاسنان ويفسد رائحة الفم ويسبب الهضم ويقلل شهوة
الطعام ويصيب الطحال ويهيج الحنجرة ويولد في الرئمة امراضاً شتى وفي القلب خفقاناً وفي
الكلى البوميتاً وسكراً وهو ايضاً يصفى الذاكرة والدكاء وقوة العمل كما يزيد الجنون
تدرجياً . وللتدخين في نظرم ضرر اعظم من كل ما ذكر وهو انه يفسد الاخلاق .
ذلك ان مدمن التدخين تضطرب اعصابه ويندوي شبابه ويسوء خلقهم فيقلب الحب
في نفوسهم بغضباً والراة حقداً والحير شراً واخاف تولستوي الحكيم الروسي الشهير على ذلك
ان المدخنين لا يلجئون الى التدخين الا بقصد الابتعاد عن ضارهم وتخفيف وطنة تكيتها
عند ما يقدمون على اعمال سيئة او شريرة وضرب على ذلك امثالاً في شخصه فقال انه
عند ما كان يشعر بحاجة ماسة الى العمل ويرى ان العمل مشعب كانت تنور في نفسه معركة
بين واجب التكدح وبين حب الراحة والسعة حتى اذا اخذ سيكارة واشعلها رجحت لديه
كفة البطالة . واذا تفاجر مع احد رفاقه فاعتظ له الكلام وهو عالم بانه لا يستحق
ذلك فالسيكارة كانت السلاح الذي تجمله تقادى في ايذاء صديقه عن غير رغبة منه
وعند ما كان يقامر ويسخر فالسيكارة كان بداوي نفسه اي يجعلها اقوى على احتمال
الحسارة واشجع في المحاطرة على المبالغ الكبيرة . وكما كان يخطيء او يأتي امرأ إذا دون
ان يود الاعتراف بخطئه فالسيكارة كانت خير سوان له على التقادي في غيبه والاصرار على
انكار خطره ما اقترفه واستاد العمل الى آخرين . وهكذا يضرب تولستوي امثالاً كثيرة
على اضرار التدخين لكنه لا يذكر به ان ابطال هذه المادة هل اصح اقل كسلاً في عمله
واوسع صدرأ مع رفاقه وهل زال تعلقه بالمقامرة وصار اقل ايذاءً واكثر صدقاً ؟ هذا ما
يشك فيه . والحقيقة ان اعداء التبغ جد مبالغين في أقوالهم لان كثيراً من الاضرار التي

ذكرتها لم يقم عليها دليل حي . ويجب ان نفرق بين الاعتدال في التدخين والافراط فيه . فالاول لا يرى جبهة الاطباء فيه بأساً يذكر اما الثاني فيرون فيه بعض اضرار ثابتة كسوء الهضم والتهاب في الصدر وضف الذائكة والبصر واضطراب البيض . قاتلغ اذن ليس ذلك السم القاتل الذي يجب اجتنابه دائماً بل وما تساوت حسنة وسبائة اذا دخن باعتدال وهذه الحنات هي كونه يسل المرء عن هموم الحياة ومصائبها بالسكر الخفيف الذي يحدته ويخفف سائمة العنلة في العاطلين ويزيد حب الخير ويزيل شيئاً من وطنة الحياة عن عائق الدين الهكتم الاعمال . ولكم كان سلوى الشيخ الهرم الذي لا يزال عافياً بالحياة وبشرى المريض اذ يرى في لذة دخانه عودة الصحة اليه . وهو يشهد الذهن ويسهل الاعمال العقلية ولذا ترى معظم الكتاب العلماء يدخنون حتى ان بعضهم كان يفرط في استعماله . فن المشهورين الذين كانوا يدخنون باكون وكانت نيون وملتون وموسه ويرون وغوتيه وكثيرون غيرهم . اما فيكتور هوغو وكوته واسكندر دوماس فما كانوا يدخنون . وكان تولستوي يدخن في شبابه ثم ترك التبغ وصار عدواً له . ولقد اجمع معظم اطباء الاسنان على ان دخان التبغ يفيد اسنان المدخنين لانه يقتل بعض جرأهم تعيش في افواههم . وهم لا يتلون بسوس الاضراس الا بعد غيرهم وذكر بعض الاطباء ان القليل منه يزيد الشهوة الى الطعام كما يمكن بعض ما يصيب جهاز الهضم من التبغ

وما لا مرية فيه ان ترك التدخين بتماماً هو اضع الحالات لاسيا اذا كان المدخن ضعيف الارادة لا يكتفي بتدخين عدد معتدل من السيكارات في اليوم . لكنه اذا كان لا بداً للسان من شيء يحد به اعصابه قاتلغ اقل الاشياء الخدرة ضرراً فشان يتدخين المشروبات الكحولية المختلفة — الحفيش والافيون والمورفين والكوكاين واضرابها من السموم القتالة . ومن القواعد الصحية التي يجب اتباعها اجتناب التدخين على الزيق او في غرفة مظلمة ابوابها ونوافذها لاسيا عند ما يكون عدد المدخنين فيها كبيراً . ويجب اجتناب بلع الدخان فلا يبلغ الرئة ولا يتجاوز الخنجرة . ويفيد استعمال « فم السيكارة » واجودها اطولها لاسيا تحمل مقداراً من النيكوتين اكبر . وعلى الذين يدخنون السيكارة ان يرموا بها قبل ان يبلغ الاحتراق منها لان النيكوتين يجتمع رويداً رويداً في عقها اثناء تدخينها فيكون الدخان هنالك اغنى بتلك المادة منه في رأسها ويختلف عدد السيكارات التي يجوز تدخينها في اليوم باختلاف امزجة المدخنين ويرى كثير من الاطباء ان ١٢ — ١٥ سيكارة هي منتهى حد الاعتدال في الاحوال العادية . ومهما يكن فان على الاولاد والشبان والنساء ان يجتنبوا التبغ وكذا يتلون بامراض في عيونهم او افواههم او حناجرهم (لها بقية)





١٩٢٨
محافظة أكتوبر
إمام الصلحة ٩٠٩

التاريخي